الإمامة في الإسلام

كتبه غريب الديار بتاريخ الأربعاء ٢٦ رجب ١٤٤٢

من الشائع بين الناس إطلاق الإمامة في الإسلام, على كل من أعجبهم دينه ومنطقه, فهل هذا مأذون به من عند الله؟

قبل ذلك ما تعني الإمامة في الإسلام, وماذا تعني في اللغة؟

في هذا المقال سوف نعرف إن شاء الله:

- معنى الإمامة في اللغة
- معنى الإمامة في القرآن
- الإمامة في الإسلام
- الإئمة في القرآن إمامان
- شبهات وردود

معنى الإمامة في اللغة

قال ابن سيده[1]:

وأم القوم وأم بهم تقدمهم وهي الإمامة والإمام ما ائتم به من رئيس وغيره والجمع أيمة وفي التنزيل {فقاتلوا أيمة الكفر} التوبة 12 أي رؤساء الكفر وقادتهم وكذلك قوله {وجعلناهم أيمة يدعون إلى النار} القصص 41

وقال الفيروزآبادي[2]

وأمهم وـ بهم: تقدمهم, وهي: الإمامة.

والإمام: ما ائتم به من رئيس أو غيره

[1] المحكم والمحيط الأعظم المجلد 10 الصفحة 572
[2] القاموس المحيط المجلد 1 الصفحة 1077

ج: إمام, بلفظ الواحد وليس على حد عدل لأنهم قالوا: إمامان, بل جمع مكسر, وأيمة, وأئمة: شاذ,

و=: الخيط يمد على البناء فيبنى, والطريق, وقيم الأمر المصلح له, والقرآن, والنبي, صلى الله عليه وسلم, والخليفة, وقائد الجند, وما يتعلمه الغلام كل يوم, وما امتثل عليه المثال, والدليل, والحادي, وتلقاء القبلة, والوتر, وخشبة يسوى عليها البناء. آم, كصاحب وصحاب.

وقال الزبيدي[3]

(وأمهم و) {أم (بهم: تقدمهم, وهي} الإمامة. {والإمام) بالكسر: كل (ما} ائتم به) قوم (من رئيس أو غيره) , كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين. وقال الجوهري: {الإمام: الذي يقتدى به, (ج:}

نستنتج مما سبق أن الإمامة التي تعني اتخاذ إمام أي اتخاذ قائد سواء للخير أو للشر, فمن تبعه جعله إماما له

معنى الإمامة في القرآن

الإمامة في القرآن لها نفس المعنى في اللسان فهي تعني القدوة المتبوع, سواء كان للخير أو للشر من ذلك قوله سبحانه عن الأنبياء عليهم السلام:

﴿وَجَعَلناهُم أَئِمَّةً يَهدونَ بِأَمرِنا وَأَوحَينا إِلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ وَإِقامَ الصَّلاةِ وَإيتاءَ الزَّكاةِ وَكانوا لَنا عابِدينَ﴾ الأنبياء: ٧٣

وقال عن أئمة الكفر الداعين إليه:

﴿وَإِن نَكَثوا أَيمانَهُم مِن بَعدِ عَهدِهِم وَطَعَنوا في دينِكُم فَقاتِلوا أَئِمَّةَ الكُفرِ إِنَّهُم لا أَيمانَ لَهُم لَعَلَّهُم يَنتَهونَ﴾ التوبة: ١٢

فالإمام إذاً هو الأسوة والقدوة المتبوع, سواء كان في جزئية معينة كإمام الصلاة حيث أنه القدوة في الصلاة وحدها, أو كان عاما في كل شيء.

---

[3] تاج العروس لمجلد 31 الصفحة 243

الإمامة في الإسلام

يظهر مما سبق أن الإمامة موضوع في أقصى درجات الأهمية, فالإمام هو المتبوع والقدوة, ومن ثم فإن اختيار الإمام يعني اختيار الطريق المتبوع.

إن الله عز وجل لم يترك موضوع من نتبع مفتوحا لنا, كل يختار إمامه الذي يود, كما يفعل الناس, وإنما أمر الناس باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغب فيه وجعله شرط صحة شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم, من ذلك قوله سبحانه:

﴿قُل أَطيعُوا اللَّهَ وَأَطيعُوا الرَّسولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّما عَلَيهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيكُم ما حُمِّلتُم وَإِن تُطيعوهُ تَهتَدوا وَما عَلَى الرَّسولِ إِلَّا البَلاغُ المُبينُ﴾ النور: ٥٤

وقال

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفيقًا﴾ النساء: ٦٩

والآيات الدالة على وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى.

النبي صلى الله عليه وسلم عبر عن إمامته وحده للأمة في قوله:

من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد[4]

ليحصر بذلك مصدر الأوامر في شخصه صلى الله عليه وسلم, فلا إمام للمسلمين غيره صلى الله عليه وسلم, ولا يصبحون أصلا مسلمين ما لم يأتموا برسول الله صلى الله عليه وسلم حصرا.

إنه من غير المعقول أن نسلم أنفسنا لله عز وجل, ثم نتبع غير من عينه إماما, هذا تناقض فالإسلام يقتضي اتباع أوامر الله حصرا, وتلك إنما أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده, فمن اتبع غيره لم يطع الله ولم يسلم أصلا.

الأئمة في القرآن إمامان

---

[4] الحديث وتخريجه هنا

يوم القيامة, والكرب أشد ما يكون يتمايز الناس كل بحسب إمامه في الدنيا, فيُنادى بإمامه, كما أخبرنا ربنا في قوله؛

﴿يَومَ نَدعو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِم فَمَن أوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ فَأُولئِكَ يَقرَءونَ كِتابَهُم وَلا يُظلَمونَ فَتيلًا﴾ الإسراء: ٧١

وهنا ينقسم الناس إلى نوعين من الأئمة, رسل الله صلى الله عليهم وسلم, وغير رسل الله.

فمن كان إمامه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم, الويل له والخزي, ففي الوقت الذي يكون أحوج ما يكون للمساعدة, في ذلك الكرب العظيم, يتبرأ منه إمامه, متخليا عنه, تاركا إياه يواجه عذاب الله بلا ولي ولا نصير, كما أخبر الله عنهم في قوله:

﴿إِذ تَبَرَّأَ الَّذينَ اتُّبِعوا مِنَ الَّذينَ اتَّبَعوا وَرَأَوُا العَذابَ وَتَقَطَّعَت بِهِمُ الأَسبابُ۝وَقالَ الَّذينَ اتَّبَعوا لَو أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنهُم كَما تَبَرَّءوا مِنّا كَذلِكَ يُريهِمُ اللَّهُ أَعمالَهُم حَسَراتٍ عَلَيهِم وَما هُم بِخارِجينَ مِنَ النّارِ﴾ البقرة: ١٦٦-١٦٧

فيكون العذاب مضاعفا, عذاب الله الشديد, والندم, حيث أن كل ما عملوا في الدنيا كان سببا في العذاب.

ينقل الله عز وجل لنا مواقف لهؤلاء المتبعين لغير رسول الله تُخبرُ عن مدى الندم والحسرة على اتباع غير رسول الله, فالواحد منهم يعض يديه ويتويل كما أخبر الله عنهم في قوله:

﴿وَيَومَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيهِ يَقولُ يا لَيتَنِي اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسولِ سَبيلًا۝يا وَيلَتى لَيتَني لَم أَتَّخِذ فُلانًا خَليلًا۝لَقَد أَضَلَّني عَنِ الذِّكرِ بَعدَ إِذ جاءَني وَكانَ الشَّيطانُ لِلإِنسانِ خَذولًا﴾الفرقان: ٢٧-٢٩]

وآخرون يحاولون مع من كانوا يتبعونهم لعلهم يتحملون عنهم جزءا من العذاب, حيث يخبر الله عنهم في قوله

﴿وَبَرَزوا لِلَّهِ جَميعًا فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذينَ استَكبَروا إِنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا فَهَل أَنتُم مُغنونَ عَنّا مِن عَذابِ اللَّهِ مِن شَيءٍ قالوا لَو هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيناكُم سَواءٌ عَلَينا أَجَزِعنا أَم صَبَرنا ما لَنا مِن مَحيصٍ﴾ إبراهيم: ٢١

في الوقت الذي يتعذب من ائتم بغير رسل الله حسرة وندما, يسعد متبعي الرسل ويحمدون الله فقد أوصلهم اتباع الرسل إلى الجنة كما أخبر ربنا عز وجل في قوله:

﴿وَنَزَعنا ما في صُدورِهِم مِن غِلٍّ تَجري مِن تَحتِهِمُ الأَنهارُ وَقالُوا الحَمدُ لِلَّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهتَدِيَ لَولا أَن هَدانَا اللَّهُ لَقَد جاءَت رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ وَنودوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أورِثتُموها بِما كُنتُم تَعمَلونَ﴾ الأعراف: ٤٣

شبهات وردود

يحاول كثير ممن في قلوبهم مرض الترخص في اتخاذ أئمة غير رسل الله صلى الله عليهم وسلم ظلما وعدوانا وطعنا خفيا في رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

بحجة أن أئمتهم هم من بيّن لهم الدين وفسره لهم, وكأن رسل الله عز وجل تركوا الدين غامضا مشكلا يحتاج إلى إيضاح.

وهذا هو الطعن في رسل الله الذين كلفهم الله بالبلاغ المبين, فلا معنى أن نحتاج إلى توضيح بعدهم كما يزعم هؤلاء إلا إذا كان الرسل لم يوضحوا الدين.

ومعاذ الله فقد بيّن لنا رسول الله صلى عليه وسلم كل شيء أبلغ بيان, وأيسره, بحيث يفهمه الأعرابي والجارية والجاهل, ألفاظ يسيرة بعيدة عن التعقيدات التي يمارس هؤلاء.

إن الذين في قلوبهم مرض يحاولون الإتيان بشبهات ليقنعوا بها أنفسهم بالتخلي عن إمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وهي شبهات كلها واهية نذكر فيما يلي أكثرها ترديدا على ألسنتهم, بحسب ما بلغنا عنهم.

أئمتنا يتبعون رسول الله

يقولون دوما أنهم يتبعون أئمتهم لكونهم عباد صالحون يأتمون برسول الله صلى الله عليه وسلم, لذلك يأتمون بهم, فلهم نقول هل حرم الله عليكم الإئتمام برسوله مباشرة ؟!

ولن تجد إلا الطعن المبيت في رسول الله, فهم غالبا ما سيجيبون بقولهم إن أئمتهم هم من بيّن لهم الدين ويسره, وكأن رسول الله تركه غامضا, حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إمامة المتقين

﴿وَالَّذينَ يَقولونَ رَبَّنا هَب لَنا مِن أَزواجِنا وَذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعيُنٍ وَاجعَلنا لِلمُتَّقينَ إِمامًا﴾ الفرقان: ٧٤

يحتجون بهذه الآية على أن غير الأنبياء يمكن أن يكون إماما, وليس لهم في الآية حجة, لكونها دعاء من عباد الله يراد به أن يبلغوا أقصى درجات التقوى, فليس في الآية أن الله جعل غير الأنبياء أئمة.

إتباع الصحابة

يحاول هؤلاء فتح باب الإمامة في الدين من خلال جعل الصحابة رضوان الله عليهم أئمة, وليس ذلك حبا منهم في الصحابة رضوان الله عليهم بدليل أنهم لا يأتمون بهم أصلا, وإنما ليبرروا إمامة أئمتهم الذين نصبوهم بغير إذن من رب العالمين, ويستخدمون لذلك آيات وأحاديث سنذكر منها :

1- قوله سبحانه:

﴿وَالسّابِقونَ الأَوَّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأَنصارِ وَالَّذينَ اتَّبَعوهُم بِإِحسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَنّاتٍ تَجري تَحتَهَا الأَنهارُ خالِدينَ فيها أَبَدًا ذلِكَ الفَوزُ العَظيمُ﴾ التوبة: ١٠٠

فيقولون إن في قوله "والذين اتبعوهم" دليل على جواز اتباع المهاجرين والأنصار استقلالا, وهذا يأبى الله عنه فالله سبحانه وتعالى لم يقل والذين اتبعوهم دون شرط, بل شرطها بقوله" بإحسان" كما شرط اتباع الآباء بالإيمان في قوله :

﴿وَالَّذينَ آمَنوا وَاتَّبَعَتهُم ذُرِّيَّتُهُم بِإيمانٍ أَلحَقنا بِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَما أَلَتناهُم مِن عَمَلِهِم مِن شَيءٍ كُلُّ امرِئٍ بِما كَسَبَ رَهينٌ﴾ الطور: ٢١

أي أن الاتباع المأذون فيه هنا هو اتباع ينافي التقليد, وهذا لا يكون إلا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيكون وعد آية التوبة لمن اتبع المهاجرين والأنصار في اتباعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- حديث العرباض وهو ضعيف كما بينا هنا.

3- حديث مثل أصحابي مثل النجوم وهو حديث ضعيف كما بينا هنا.

تلك هي أهم شبه الراغبين عن إمامة رسول الله صلى عليه وسلم, رددنا عليها, لتعلم أنه لا فلاح لك ولا نجاة في غير أن تأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم حصرا فتدعى به يوما قال ربنا عنه :

﴿يَومَ نَدعو كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِم فَمَن أوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ فَأُولئِكَ يَقرَءونَ كِتابَهُم وَلا يُظلَمونَ فَتيلًا﴾
الإسراء: ٧١